

التهجين في الرواية الجزائرية المعاصرة على ضوء نظرية هومي بابا (رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" لعمارة لخص أنموذجا)

محمد تدو (الكاتب المسؤول)*

عليرضا شيخي**

الملخص

يتعرّض المهاجرون لتغيرات جذرية في كيفية التعامل مع البيئة الجديدة أثناء الهجرة وإن هاجس الحفاظ على الثقافة الوطنية من جهة والتواصل البناء مع البيئة الجديدة من جهة أخرى يعتبران من تعقيدات تعامل مجتمع المهاجرين مع السكان الأصليين. بما أنّ الرواية والقصة من أكثر الأدوات خلوصا لتصوير التحديات التي يواجهها المهاجرون عند اعتناقهم الهوية المزدوجة، تناول العديد من الكتاب العرب في أعمالهم الأدبية موضوع المهاجرين في أوروبا، منهم الروائي الجزائري المعاصر عمارة لخص في رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" التي تدور أحداثها حول المهاجرين من دول العالم الثالث الذين هاجروا إلى إيطاليا. يرسم الروائي أزمات هوية المهاجرين والتناقضات الثقافية والاجتماعية والدينية التي تعرّضوا لها في البلد المستضيف. يحاول المقال الحاضر إلى تحليل موضوع المهجنة في شخصية المهاجرين على ضوء آراء هومي بابا الناقد الأميركي ذو أصل هندي مستعينا بالمنهج الوصفي التحليلي، ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها هي أن لخص يمسّد الهوية المهجنة للمهاجرين في شؤون كالدين والطعام واللغة والاسم والعادات والتقاليد وأنّ معظم المهاجرين الجدد ماعدًا بطل الرواية؛ أمديو غير قادرين على خلق الخطاب والتبادل الثقافي مع السكان الأصليين، وقد يؤدي عجزهم على التعامل مع فضاء الهجرة إلى عدم تمكنهم من قبول الهوية الجديدة.

الكلمات الدليلية: أدب الهجرة؛ الهوية المهجنة؛ كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك؛ عمارة لخص؛ هومي بابا.

*. طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الخميني (ره) الدولية، قزوین، ایران
tadou66@gmail.com

** .أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام الخميني (ره) الدولية، قزوین، ایران
shaikhi@hum.ikiu.ac.ir

المقدمة

إن أدب الهجرة يطلق بشكل عام على القصص التي يكتبها المهاجرون أو ما يروى من قصص المهاجرين واللاجئين والمنفيين. يعود تاريخ الهجرة والنزوح في الشرق إلى ستة قرون قبل الميلاد. منذ أن احتل الغزاة مدينة بابل وغادر السكان أوطانهم، تطلق على "diaspore" بمعنى طرد اليهود من مدينة بابل في اللغة اليونانية كما أنها مستخدمة بنفس المعنى مع اختلاف بسيط في الوصف في اللغات الأوروبية. (حق شناس والآخرون، ١٣٨١ش: ٤٣٠؛ Soukhanov, 2005: 2107؛ Gwinn: 1991: 370) يرجع تاريخ دخول مصطلح "أدب الهجرة" فى أدب وثقافة الدول الغربية السياسى إلى سنوات مابعد الحرب العالمية الأولى والثانية. إن وجود الأبعاد المختلفة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للهجرة جعلتها محل نقاش الدراسات البيئية فى العلوم الإنسانية. يتعرّض المهاجرون لتغيرات جذرية فى كيفية التعامل مع البيئة والثقافة والعادات الجديدة فى بلد الأصل والمقصد أثناء الهجرة والانتقال من وطنهم. إن توقّف العملية الطبيعية للتواصل البشرى مع بيئتهم يجعلهم يشعرون بالغربة وعدم الانتماء للبيئة التى يعيشون فيها. إن هاجس الحفاظ على الثقافة والعادات والتقاليد الوطنية من جهة والتواصل البناء مع الثقافة والبيئة الجديدة من جهة أخرى، يعتبران كجزء من تعقيدات تعامل مجتمع المهاجرين مع السكان الأصليين. تعتبر الرواية والقصة من أكثر الأدوات خلوداً لتصوير التحديات التى يواجهها المهاجرون عند اعتناقهم الهوية المزدوجة. تناول العديد من الكتاب موضوع المهاجرين فى أعمالهم الأدبية ومنهم الكاتب والروائى الجزائرى المعاصر المبدع عمارة لخص الذى صوّر حياة المهاجرين فى عمله الروائى؛ "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك". لخص الذى هاجر وطنه الجزائر منذ زمن بعيد ويقيم حالياً فى إيطاليا، فى عمله الأدبى هذا يرسم للقارئ ظروف المهاجرين فى المجتمع الغربى ويصور حياتهم فى الفضاء الثالث ويتناول موضوع الهجنة وأزمة الهوية. إن سبب اختيار نظرية مابعد الاستعمار لتحليل موضوع الهجنة فى شخصيات المهاجرين يكمن فى إمكانية تسمية أدب ما بعد الاستعمار بأدب الهجرة. لأنه يجعل المهاجرين يتنقلون من بلدهم الأصلى إلى بلد آخر وتتم دراسة

المشاكل التي تحدث للمهاجرين أثناء تنقلهم ومدى تأثيره على هويتهم ويعتبر ذلك من مواضيع نقد مابعد الاستعمار. بالتالي تحاول الدراسة الحالية تحليل مفهوم الهجنة في شخصيات رواية "كيف ترضع" على ضوء نظريات "هومي بابا" المنظر الأميركي ذى الأصول الهندية مستعينة بالمنهج التحليلي - الوصفي. لذلك في البداية قد جاء التعريف بالمؤلف وملخص الرواية ثم استعرضت العلاقة بين نقد مابعد الاستعمار ونظرية بابا ومن ثم تم تحليل بعض القضايا مثل الهوية وأنواع الهجنة وأخيرا اختتم البحث بملخص ما توصل إليه الباحثان في بحثهما هذا.

أسئلة البحث

١. كيف تهجنت شخصيات المهاجرين في رواية "كيف ترضع" من الذئبة دون أن تعضك" بواسطة العيش في الفضاء الثالث؟
٢. فى رواية "كيف ترضع" أيهما له تأثير أكبر على ثقافة المهاجر؛ ثقافة البلد المستضيف أو ثقافته الوطنية؟
٣. فى أى أمور، تجسدت هجنة شخصيات المهاجرين فى الرواية كيف ترضع؟

فرضية البحث

١. يمكن القول إن العيش فى الفضاء الثالث يتطلب تحلى الشخص عن ثقافته وعاداته وتقاليده وأن يذوب تماما فى ثقافة الدولة المستضيفة، يبدو أن بطل القصة هو الشخصية الوحيدة التى يعيش فى هذا الفضاء وتجاوز الفضاء البينى، بينما لا تزال تبقى الشخصيات الأخرى فى الفضاء البينى.
٢. يبدو أن تأثير ثقافة البلد المستضيف على كل شخصية تعيش فى الفضاء الثالث أكبر من ثقافته الوطنية، كما يمكن القول إن الثقافة الوطنية تطفى على ثقافة البلد المستضيف بالنسبة إلى الشخصيات التى تعيش فى الفضاء البينى.
٣. من خلال دراسة شخصيات الرواية، يبدو أن لخصوص يجسد الهوية المهجنة للمهاجرين فى شؤون عديدة مثل الدين والأكل واللغة والاسم والعادات والتقاليد.

خلفية البحث

خلفية البحث تشتمل على قسمين: القسم الأول يحتوي على الكتب والمقالات المنشورة عن قراءة ما بعد الاستعمار التي تعتمد على رؤية هومي بابا وأهم المصادر في هذا الموضوع كتاب "موقع الثقافة" الذي يتناول فيه بابا مواضيع عدة مثل الهوية والمحاكاة والهجنة ويقوم بإعادة تعريف العديد من المواضيع المتعلقة بالدراسات الثقافية، بالإضافة إلى ذلك أنه نقد الدراسات التي جرت حول المناهج الثقافية المختلفة. كما تمة بعض الدراسات الجادة أهمها:

١. مقالة "خوانش پسااستعماری تجربہ می مهاجرت در رمان "أصابع لوليتا" اثر واسيني الاعرج از دیدگاه هومي بابا" للباحثين سيدحسن فاتحي وفرامرز ميرزائي وبيبي راحيل سن سبلي (دراسة العناصر المهجنة في هذه الرواية الجزائرية على ضوء نظريات هذا المنظر)، المنشورة في مجلة نقد الأدب العربي بجامعة بهشتي، ١٣٩٥ش.

٢. مقالة "خوانش پسا استعماری از رمان مردم جولای" لمينو جوان مولايي ورضا ياوريان وهي دراسة الثنائيات الضدية على ضوء نظرية هومي بابا. (المنشورة في فصلية نقد اللغة والأدب الأجنبي) بجامعة الشهيد بهشتي، العدد ٥، ١٣٩٢ش.

٣. هويت زن شرقي مهاجر در آثار جومپا لاهيري ومهرنوش مزارعي از دیدگاه هومي بابا: دراسة مقارنة بين هوية المرأة الإيرانية والهندية على ضوء نظريات هومي بابا للباحثين أميد ورزنده وسيد رضا إبراهيمي. (المنشورة في مجلة فصلية تخصصية للأدب الفارسي) بجامعة آزاد في سنندج، العدد ١١، ١٣٩١ش.

القسم الثاني: الدراسات التي تناقش روايات "عمارة لخصوص" وهي تشمل:

١. "سيميايئة العتبات في رواية كيف ترضع ... لعمارة لخصوص (دراسة سيميائية لهذه الرواية من خلال طرائق التحليل السيميائي)" للباحثة "زهيرة بولفوس"، المنشورة في مجلة العلوم الإنسانية في الجزائر، العدد ٤٦، ٢٠١٦م.

٢. "الأنا والآخر في الرواية الجزائرية؛ قراءة في نص كيف ترضع لعمارة لخصوص" (دراسة علاقة المهاجرين في هذه الرواية بسكان إيطاليا وكيفية تعاملهم معهم) للباحث الجزائري "محمد فايد"، المنشورة في مجلة "الآفاق العلمية الجزائرية"، العدد ١١،

٢٠١٦م.

٣. رسالة جامعية معنونة "تجربة عمارة لخصوص الروائية من منظور جماليات التلقى" (دراسة جماليات التلقى في روايات لخصوص) لـ "أحلام العلمي"، تم نقاشها عام ٢٠١٦ في الجزائر.

٤. رسالة جامعية تحت عنوان "المحوارية في رواية "كيف ترضع" لآمال روابقية" (دراسة حول سيرة المنفى وواقع المهاجر وما يعانيه من عنصرية وتهميش في إيطاليا) تم نقاشها عام ٢٠١٩ في الجزائر.

حسب معلومات الباحثين إن هذه الدراسة هي أول دراسة مستقلة تتناول موضوع تهجين هوية الشخصيات الروائية في أعمال الكاتب الروائي على ضوء نظرية "هومي بابا" كما أنها أول دراسة تناقش موضوع أعمال لخصوص الروائية في إيران و تعرفه إلى الأوساط العلمية والأدبية في البلاد.

شذرات من حياة الروائي

عمارة لخصوص من مواليد الجزائر العاصمة عام ١٩٧٠م. تخرّج من معهد الفلسفة بجامعة الجزائر، وواصل دراسته وحصل على الدكتوراه من جامعة روما في الأنثروبولوجيا وقيم حاليا في مدينة نيويورك الأمريكية. غادر بلاده إلى إيطاليا عام ١٩٩٥م كان يعمل صحفيا في الإذاعة الوطنية الجزائرية ويعاني على غرار الكثيرين من الصحافيين الجزائريين من مشاكل مختلفة، اشتغل في البداية في مجال الهجرة في جمعية تعنى بحقوق المهاجرين واللاجئين السياسيين، ثم في وكالة للترجمة، ووكالة الأنباء الإيطالية، ليتفرّغ للكتابة والأدب نهائيا عام ٢٠٠٦م. (لخصوص، مقابلة شخصية: ١٣ يونيو ٢٠١٣م، قناة ٢٤ الفرنسية بالعربية)

عندما هاجر إلى إيطاليا، عشق اللغة الإيطالية وآدابها، لأنه وجد سهولة في تعلّم اللغة الإيطالية لسببين، أولهما هو نشأته في بيئة متعددة اللغات (العربية والأمازيغية والفرنسية) وهذا شكّل أرضية له لاكتساب لغة جديدة والثاني هو قرابة الإيطالية من الفرنسية، فقرّر أن يكون كاتباً مزدوج اللغة وهذا الأمر يجعله الروائي العربي الوحيد

الذى يكتب باللغتين فى نفس الوقت. فكل رواية لها طبعة بالإيطالية وأخرى بالعربية. هو لا يترجم وإنما يعيد إنتاج نص رواياته بشكل جديد. رواياته هى "كالتوائم، ولدت من رحم واحد" ولكنها مختلفة من حيث البنية واللغة وبناء الشخصيات. (لخوص، مقابلة شخصية: ٢٩ يناير ٢٠١٥م، قناة الجزيرة الإخبارية) يقول جابر عصفور عنه: «يبدو لخوص أميناً لذاته وفنه ويميز بين نصين يتقطعان فى نقاط ويختلفان فى أخرى، ويشدد على ذلك بإعطاء عنوان يختلف عن نظيره فى اللغة الأخرى.» (عصفور: ٢٠١٢م: ١٧)

نشر روايته الأولى "البق والقرصان" فى طبعة مزدوجة اللغة عربية إيطالية فى روما عام ١٩٩٩م. وصدرت روايته الثانية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك" فى الجزائر عام ٢٠٠٣م. أعاد كتابة هذه الرواية بالإيطالية وصدرت عام ٢٠٠٦م بعنوان "صدام الحضارات حول مصعد فى ساحة فيتوريو حيث نالت نجاحاً كبيراً فى إيطاليا وتم تحويلها إلى فيلم سينمائى عرض فى قاعات السينما الإيطالية عام ٢٠٠٤م. أما الرواية الثالثة التى صدرت عام ٢٠١٠م فهى تحمل عنوان "القاهرة الصغيرة" وهى محاكاة لعنوان رواية لنجيب محفوظ "القاهرة الجديدة" والمعروف أن لخوص من المغرمين بالسينما الإيطالية. (خمرى، ١٣٩٤ش: ٣٠٦-٣٠٥) وصدرت روايته الرابعة "فتنة الخنزير الإيطالى الصغير فى حى سان سالفارو" والخامسة "مزحة العذراء الصغيرة فى شارع أورميا." (لخوص، ٢٠١٠م: ٢١٣) ومطالعات فرنسية

حاز لخوص على جوائز أدبية عدة منها جائزة "فلايانو" الأدبية الدولية عام ٢٠٠٦، إضافة إلى جائزة المكتبيين الجزائريين عام ٢٠٠٨م (لخوص، ٢٠١٢م: الموقع الشخصى) ولم تنحصر شهرته فى إيطاليا فحسب، بل ترجمت أعماله من الإيطالية إلى الفرنسية والإنكليزية والهولندية والألمانية والكورية وأخيراً إلى اليابانية.

ملخص الرواية

تحكى رواية كيف ترضع حكاية مجموعة من المهاجرين الذين تقاطعت مصائرهم وتشابكت حياتهم فى روما، جاءوا من دول العالم الثالث ليبحثوا عن حياة جديدة فى

قلب العاصمة القديمة للقارة الخضراء. إن حياتهم صعبة، عانوا كثيرا من العنصرية ومن الملاحقات بسبب أن معظمهم لا يملك وثائق رسمية. تتطور الأحداث لما يكتشف سكان المبنى جثة شاب إيطالي؛ "لورنزو مانفريدي" داخل مصعد المبنى الملقب بالغلادياتور ويتزامن قتله مع اختفاء المهاجر الجزائري "أحمد" المعروف بـ"أمديو" والذي يتهم بالجرime بسبب اختفائه بعد الجريمة وخلافاته مع القتل.

في الرواية كثير من الأسئلة التي تطرحها شخصياتها عن الهوية والهجرة وحياتة المهاجرين وعن العنصرية والطابع الصراعي الذي يضبط علاقة الإيطاليين بغيرهم، كما أنها تعالج قضايا متعلقة بالخصوصيات الثقافية للجماعات البشرية في سياق الظروف الدولية العامة التي ميزت العلاقة بين الغرب والإسلام عقب أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م، خاصة مع الشرعية التي اكتسبها موضوع صراع الحضارات.

قرر أحمد السالمى بطل الرواية الخروج من الجزائر في صمت، بعدما لم يتحمل ما حدث لحبيته بهجة حيث قتلت من طرف الجماعات المسلحة، لذلك يهاجر إلى إيطاليا يغير اسمه إلى "أمديو" وتزوج من امرأة إيطالية وأتقن الإيطالية، فظن الجميع أنه إيطالي وليس مهاجرا. كان يقضى حوائج المهاجرين ولذلك أصبح محبوبا لدى الجميع خاصة المهاجرين. صوته حاضر في الرواية بعد كل حضور لشخصية أخرى، يوضح ويفسر جميع الطابع والمواقف يصدق ويؤكد أقوال شخصيات القصة دون أن يفصح عن شخصيته وجنسيته إلا في نهاية الرواية.

ومن الشخصيات الأخرى برويز صمدى اللاجئ الإيراني الهارب من شيراز بعد عثور لجنة الثورة على بعض منشورات السياسية في مطعمه وهدد بالموت وهو الذي يعاني من الاندماج في المجتمع الإيطالي بسبب اللغة وتقييد فرص العمل له وبوابة العمارة؛ بندتا اسبوزيتا من سكان نابولي من جنوب إيطاليا الكارهة للأجانب ولغير سكان الجنوب و"إقبال أميرالله" المهاجر المسلم من بنغلاديش الذي يعد أمديو زبونه الإيطالي المفضل الذي يتعامل معه بالتسامح وهو غير عنصري وأفضل من بعض المسلمين المتطرفين. و"إزابتا فايباني" العنصرية ومغرمة بالكلاب. ثم "ماريا غونزاليز" المهاجرة البيروفية غير الشرعية التي هاجرت لإعالة أهلها الذي تتحمل من أجله

مشاكل عديدة حتى الاغتصاب. "أنطونيو ماريني" الأستاذ الجامعي المنحدر من مدينة ميلانو من شمال إيطاليا وهو عنصرى لدرجة أنه لا يميز بين سكان الجنوب وبين المهاجرين ويعتبر نفسه متحضرا خلافا لسكان روما. "ساندرو دانديني" صاحب النادي الليلي الذي يرتاده أمديو كثيرا والذي صار صديقا له. "ستيفانيا مسارو" زوجة أمديو صاحبة وكالة سياحية وهي امرأة إيطالية وتدعم أمديو في جريمة القتل كما أنها على يقين من براءته. "عبدالله بن القدور" ابن بلد أمديو؛ المسلم المتطرف الذي يزاول مهنة بائع سمك في روما ولديه أفكار رجعية وقشرية عن الإسلام حيث يظن أن المسلم الحقيقي يجب أن يكون عربى اللسان.

توصلت الشرطة في البداية إلى أن أحمد هو قاتل الغلادياتور بسبب خلافاتهم المستمرة، لكن هذه القضية تتغير بعد أن يتأكد من أن أمديو تعرض إلى حادث مرور ونقله إلى المستشفى تزامنا مع جريمة قتل لورانزو في العمارة ويكتشف أخيرا أن من قتله هي جارة أمديو؛ إلزابتا فاياني.

خطاب ما بعد الاستعمار

يتناول مفهوم ما بعد الكولونيالية «آثار الاستعمار على الثقافات والمجتمعات. والمصطلح "ما بعد الكولونيالي" بحسب استخدام المؤرخين له في الأصل عقب الحرب العالمية الثانية في سياقات مثل دولة ما بعد الكولونيالية، معنى تاريخي تسلسلي واضح، إذ يشير إلى فترة ما بعد الاستقلال. على أى حال، فقد استخدم النقاد الأدبيون هذا المصطلح بداية من أواخر السبعينيات لمناقشة الآثار المتعددة للاستعمار». (أشكروفت وآخرون، ٢٠١٠م: ٢٨٢) هذه النظرية «هى جزء من حقل النظرية الثقافية أو الدراسات الثقافية متعددة الفروع الذى يعتمد على الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والدراسات الإثنوية والنقد الأدبى والتاريخ والتحليل النفسى وعلم السياسة والفلسفة فى تفحصه النصوص والممارسات الثقافية المختلفة». (ثابت، ٢٠١٤م: ١٠٤) ومن خلال الاقتراض من النظريات والمدارس مثل ما بعد الحداثة وما بعد البنوية والنسوية وغيرها، تحولت الى نظرية بينية وديناميكية. لكن القواسم المشتركة بينها أن الإجماع يدور حول الاضطهاد

الاستعماري والنيوكولونيالي ومقاومة الاستعمار والهجرة وعواقب الاختلاط الثقافي وما إلى ذلك. (موسوى ودرودى، ١٣٩١ش: ٤٣-٤٩) وتشير الدراسات الأخيرة إلى أنّ عدد الهجرة التى جرت فى العقود الأخيرة خاصة بعد ظاهرة الربيع العربى عام ٢٠١١م ازدادت أكثر من أى وقت مضى.

يمكن دراسة موجة الهجرة كظاهرة جديدة، كنتيجة لعالم ما بعد الاستعمار من وجهات نظر مختلفة. إن أدب الهجرة يروى قصة حياة المهاجرين وقضاياهم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا فى بلد أجنبى. يذوب جغرافيا الثقافة العالمية الهويات الفردية ويغيّر مفاهيم كاللغة والمكان والعرق ويضع الأسس للدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الاستعمار. يحاول هذا النقد إلى دراسة المشاكل التى تطرأ على المهاجرين من خلال الأدب وفى قالب الرواية.

إن أبرز المنظرين فى نقد ما بعد الاستعمار ومجال الهجرة هو هومي بابا كاتب أميركى ذو أصول هندية. «ولد بابا فى مدينة "مومباى" عام ١٩٤٩م فى الهند، درس الأدب الإنجليزى وتخرج فى جامعة أكسفورد. درس بإنجلترا ثم فى الولايات المتحدة فى جامعة هارفارد ويعد من دارسى النظرية ما بعد الكولونيالية. برز اسمه من خلال طرحه لمفهوم "التهجين" ويرى أن التفاعل بين المستعمِر والمستعمَر يؤدي ليس إلى انصهار المعايير الثقافية التى تؤكد السلطة الاستعمارية فحسب، بل تهدد أيضا فى محاكاتها بزعة استقرارها وهذا ممكن لأن هوية المستعمَر فى حد ذاتها غير مستقرة إذ توجد فى وضع معزول ومغرب.» (كارتر، ٢٠١٠م: ١٢٧) ويرى الباحث شيرزاديان أن «تعدّد مكان الميلاد ومكان الدراسة ومكان العيش لهذا المثقف، قد جعله من أكبر المنظرين تأثيرا فى ثقافة التشرّد والتعددية الثقافية.» (شيرزاديان، ١٣٨٨ش: ١٩)

قد كتب بابا الكثير عن تجربة الهجرة ومن خلال «التأكيد» على مفاهيم مثل "الهجنة" و"التشرّد" و"المنفى" التى تشير فى الغالب إلى إقامة المهاجرين غير الأوروبيين فى الدول الغربية واندماجهم فى هذه الحضارة ومن خلال التحدّث عن موقف "الانزعاج فى الوطن - الذى اعتبره منتوجا للاستعمار - يدعو إلى خارج الحدود الوطنية والتداخل الثقافى كما أنه يصف الشخص المهاجر والمنفى رمزان قد وقعا فى هذا

الموقف..» (ذاكرى، ١٣٩٢ش: ٦٢) كما تحدّث بابا بشكل مطوّل عن التاريخ ووجوب دراسته فى كتابه؛ موقع الثقافة قائلاً: «يمكن تعلم أعظم دروس الحياة من تعرضوا لمعاناة التأريخ من نزوح وأسر.» (Bhabha, 1994: 246) إن اعتقاد بابا فى الهوية أنه يعتبرها غير ثابتة بطبيعتها «ومن خلال مبادرة نظرية الهجنة يجعل تحدّى مفاهيم الهوية والثقافة والجنسية فى صلب اهتمامه» كما يرى أن «الهجنة هى الهامش الذى تتقاطع فيه الخلافات الثقافية مع بعضها البعض وتخلّ بالهوايات المستقرّة التى تدور حول النزاعات حول الماضى والحاضر.» (شاهميرى، ١٣٨٩ش: ١٥٧) يعتقد البابا أن الهجنة ووضعية المجازة/العتبة (liminality) تختلفان معا حيث أنّ بابا «يعتبر الهجنة عملية الاندماج الثقافى الذى يختار فيه المهاجر جوانب من ثقافة الدول المستضيفة ثمّ يقوم بإعادة بناءها وإصلاحها وفى النهاية تتغيّر؛ لكن تواجه المهاجر فى وضعية المجازة/العتبة الغموض لأنه يقع بين خيارى الانفصال من الوضعية المجتمعية الأولى والاتصال بالثانية ولهذا يمكننا إطلاق تسمية التجربة العابرة عليها. (نجوميان، ١٣٩٣ش: ٧) فيقترح بابا الفضاء الثالث الذى تتلاشى فيه السياسة الثنائية القطبية ولا يشعر الشخص بأى شعور تجاه ثقافة وطنه. (سيهوند، ١٣٩٤ش: ٦٨-٦٩) لذلك يمكن القول إن وضعية المجازة/العتبة هى مرحلة وسيطة بين الانفصال من حياة المهاجر فى وطنه وبين الاندماج فى مجتمع بالدولة الأجنبية التى عاش فيها.

من ناحية أخرى، من خلال استخدام مفهوم "الآخر" فى تحليل العلاقة المستعمر-المستعمر يشدد بابا على الترابط المتبادل والبنية ثنائية الاتجاه فى عقلية الجانبين. (شاهميرى، ١٣٨٩ش: ١٥٩) لذلك، يمكننا تقديم موضوع "الآخر" الذى يتعلّق بالمستعمر والمستعمر فى العلاقة بين المهاجرين والمجتمعات الأجنبية التى يكون فيها المهاجر ضيفاً غير مدعو وينظر إليه بنظرة "الآخر". (افشارى وزاهدى، ١٣٩٢ش: ١٥١) إن تمثيل "الآخر" فى السياق الاستعماري مهم للغاية وإن هذه التمثيلات قبل كل شىء تمثّل الوجه الخفى للشخص الذى يلجأ إليها. غالباً ما يحاول المركز تقديم صورة مشوّهة عن "المهمّش (الآخر) باستخدام الصور والقوالب النمطية. من وجهة نظر بابا، ليست مهمّة الباحث فى حقل ما بعد الاستعمار هو إلقاء نظرة عابرة على هذه الصورة المشبوهة

أو إعلان ما إذا كانت هذه النظرة إيجابية أم سلبية فحسب، بل عليه تحليل العمليات الأساسية التي صاغت هذه الصور والقوالب. (فرهمندفر ونجوميان، ١٣٩٢ش: ٦)

إن موقع الثقافة هو الفضاء البيئي في منظور بابا، لذلك إن الهويات الثقافية هي هويات بينية وهجينة. إذن يمكن القول إن الهوية وعلى نطاق أوسع، الأشكال الثقافية ليست لها بؤر، بل هي عملية ذات نهاية مفتوحة يعاد تعريفها دائماً. بالإضافة إلى ذلك، إن الهجرة بالنسبة لبابا هي نوع من الترجمة الثقافية و يعتقد أن المهاجر يترجم الثقافات ويتجاوز الحدود ونتيجة هذه النظرية لا تعدو أن تكون سوى تهجين الهوية وتهجين الثقافة. (فرهمندفر، ١٣٩٣: ٢٩)

معالجة تحليلية لموضوع الهجنة في رواية كيف ترضع

إن العيش في بيئة تختلف اختلافا جوهريا عن مسقط رأس الشخص تخلق هوية «تتجلى في بيئة متناقضة وتنائية وهذا قد يساعده على فهم غرابة التنوع الثقافي». (شاهميري، ١٣٨٩م: ١٥٨) ونرى من خلال دراسة رواية "كيف ترضع" أن الهجنة تتمثل في مرتكزات كالدين واللغة والاسم والأكل والعادات والتقاليد التي ستأتي تفاصيلها على النحو التالي:

التهجين في الهوية

تعتبر الهوية من مفاهيم العلوم الاجتماعية الأساسية وعلم الاجتماع الثقافي على وجه الخصوص وهناك خلافات كثيرة حول تعريفها مثل غيرها من مفاهيم العلوم الاجتماعية وقد تناول ذوو الاختصاص جوانب متعددة في تعريفها. وقد اقترح العلماء مستويات متعددة للهوية من مختلف المجالات على سبيل المثال، «إن علماء الاجتماع يعتقدون أن الهوية هي شعور يحصل عليها الشخص في مجتمع ما ثم يدرك بشعور الهوية المشتركة اعتمادا على القواسم المشتركة بينه وبين الآخرين أو خلافاته معهم». (لك، ١٣٨٤ش: ١١٣) يرى علماء النفس مثل "جان بياجيه" و "سيغموند فرويد" أن أساس تكوين الهوية الإنسانية تحدث في مراحل نموّه المختلفة. (قمرى وحسن زاده،

١٣٨٩ش: ٣) كما أنّ الهوية والشعور بها في علم النفس «تعتبران من خصائص الفرد الشخصية والشعور بالهوية عبارة عن شعور الإنسان بالنسبة إلى استمرار حياته النفسية والوحدة التي يشعر بها في الظروف المتغيرة؛ لذلك من منظور علم النفس، إن الهوية تكسب المعنى عندما يواجه الإنسان شخصا آخر و الآخر هو عبارة عن أفراد المجتمع الآخر أو الأدوار التي يحتلّها الشخص.» (المسكينى، ٢٠٠١م: ٧-١١) كما يرى المفكرون الآخرون أن الهوية سبب للتمييز بين الأنا والآخر ويعزز العمل الفردى أو الاجتماعى على أساس ذلك بهدف الحفاظ على استمراره وتطوّره أو لتدمير وإضعاف الهويات الأخرى. (سنو، ٢٠٠٢م: ١٠٣-١٠٤) فمن خلال هذه التعاريف وغيرها يمكن أن نجلها في هذا التعريف، فالهوية هي مجموعة من القيم والمشاعر والاتجاهات تميّز جماعة ما، أو شعبا ما أو أمة ما وتضمّ هذه الهوية اللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد التي نشأ عليها المجتمع وورثها عن أسلافه وفيها الثابت والمتحوّل.

في هذه الرواية يصوّر الروائى كيفية اندماج المهاجرين فى الحياة الجديدة. إن غالبية شخصيات الرواية تقبل الاندماج فى البلد المستضيف والاختلاط الثقافى على الرغم من أن مدى اندماج كل شخصية يختلف عن الأخرى. وفى غضون ذلك، فإن كيفية هجنة بطل الرواية؛ "أحمد السالمى" مختلفة تماما عن غيره من المهاجرين حيث نرى أن أمديو قد ابتعد كل البعد عن هويته الجزائرية واللغة العربية وعرقه وثقافته وحاول الذوبان والإدماج فى البيئة الجديدة التى تختلف عن هويته الوطنية، حيث أن زوجته الإيطالية تؤكد أن أمديو قد نسى ثقافته ولغته وحتى اسمه وأصبح رجلا إيطالياً من رأسه حتى أحمص قدميه لأجلها، حيث ضحى بنفسه لإجل إسعاد زوجته ولتحقيق هذا الهدف المنشود تعلّم الإيطالية وأحب الطبخ فى البلد المقصد وغير اسمه من أجل اندماج أفضل فى المجتمع الإيطالى وباختصار أصبح إيطالياً محتا. إن بطل روايتنا ذاب بالهوية الإيطالية وتجرّد عن هويته الجزائرية لدرجة أنه بعد بدء تحقيقات مقتل "لورنزو مانفريدى" والكشف عن هويته الحقيقية، لم يصدّق أى من شخصيات الرواية أنه لم يكن إيطاليا. على سبيل المثال، بؤابة العمارة وهى امرأة عنصرية وضد المهاجرين لاتصدّق أن يكون أمديو مهاجرا أجنبيا لأنها تعتقد أنها قادرة على تمييز بين المواطن من سكان

الأصليين في إيطاليا وبين المهاجرين الأجانب. (لخوص، ٢٠٠٣م: ٣٦)

إن بؤابة العمارة تصف أميدو أكثر ولاء و انتماء منها الى وطنها إيطاليا وتعتبر أن الاعتقاد بأن يكون أمديو مهاجرا في الواقع مثل أن تكون هي مهاجرة جاءت من بلد العالم الثالث مثل فيليبين أو باكستان إلى إيطاليا وتعيش الآن في العاصمة روما، بعبارة أخرى لم تخطر على بالها يوما أن تسمع أن أمديو من سكان شمال إفريقيا وهو عربي مسلم جاء إلى إيطاليا هروبا من ماضيه المر. إن "إقبال البنغالي" يعتقد نفس اعتقاد بوابة العمارة حيث يرى أن أمديو هو الإيطالي المثقف الذي يترك محلات مواطنيه ويأتي عنده لشراء المواد الغذائية كما أنه خلافا للكثير من مواطنيهم في روما ليس فاشيا أو عنصريا يكره المهاجرين والأجانب. رغم أنه مسيحي على زعم إقبال، لكنه أحبه أكثر من بعض البنغاليين وبعض المسلمين. بالإضافة إلى ذلك أن أقبال فوجئ عندما يسمع أن أمديو هو مهاجر مثله وقد فرّ من العدالة بعد ارتكاب جريمة قتل الغلادياتور ولا يستطيع أن يصدّق هذا الخبر الذي يعتقد مفبركا. (نفس المصدر: ٥١ - ٥٣)

ربما يظن القارئ أن الهوية المهجنة لدى أمديو محصور في وجهة نظر المهاجرين في الرواية هم الذين لم يتمكنوا من التكيف مع ظروف إيطاليا على الرغم من العيش لسنوات طويلة في هذا البلد لكن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد حيث نرى أن سكان روما يعتقدون نفس اعتقاد المهاجرين بخصوص هوية أمديو، حيث نرى أن الإيطالي "ساندرو" صاحب مقهى ليلي "دنديني" لا يصدّق أبدا أن يكون أمديو مهاجرا إيطاليا لأنه خلافا لبقية المهاجرين يعرف تاريخ روما وحتى شوارعها أكثر من سائق سيارات الأجرة الذين يرتادون ليلا ونهارا في العاصمة الإيطالية منذ سنوات طويلة حيث أنه لم يرَ أحدا مثل أمديو بهذه المعلومات الواسعة عن روما. (نفس المصدر: ١٠٦) في قسم آخر من الرواية يكشف ساندرو النقاب عن سباق معرفة روما بين أمديو وسائق سيارة الأجرة يدعى "ريكاردو" المتجول أكثر من ٢٠ سنة في أحياء مدينة روما مدار الساعة لكن برغم من ذلك هزم المسابقة من أمديو لأنه يعرف روما لدرجة كأنه ولد فيها ولم يغادرها أبدا. (نفس المصدر: ١٣٢)

إن هجنة شخصية بطل الرواية لا تنحصر على المواطنين العاديين في روما بل يتجاوز

إلى المثقفين والأكاديميين حيث نشاهد أن الأستاذ الإيطالي في جامعة روما الذي يدعى أنه بإمكانه التمييز بين سكان شمال إيطاليا وأهل الجنوب من خلال تصرفاتهم، لا يخطئ فقط باعتبار بطل الرواية رجلا إيطاليا مثقفا بل يتجاوز هذا الحد ويصدق أنه من سكان الشمال لأن طريقته في الكلام و التحية والمشي أشبه بطريقة أهل ميلانو أو طورينو في شمال إيطاليا. (نفس المصدر: ٨٥-٨٦)

كما تبين الأمثلة المستخرجة من الرواية، أن بطل الرواية؛ أحمد ابتعد عن هويته ولغته في الجزائر تسهيلا لاندماجه في المجتمع الإيطالي خلافا لابن بلده عبدالله الذي يرفض عملية الاندماج والذوبان في المجتمع المستضيف، لأنه يقاوم أمام التكيف مع البيئة الجديدة في إيطاليا التي تختلف اختلافا جوهريا مع مجتمعه ووطنه؛ الجزائر وهذا الأمر أدى إلى الكثير من المشاكل والعواقب في سبيل الاتصال بالسكان الأصليين وهذا الأمر يشير إلى أن أمديو والقذور رغم انتماءهما إلى مجموعة وجنسية واحدة لكنهما ليسا مماثلين ويعانيان من عدم التجانس الفكرى.

التهجين في الدين

إن المدارس الإسلامية هي راعية الثقافة الإسلامية للمسلمين في جميع أنحاء العالم وخاصة للجاليات والأقليات الإسلامية، وهي تلعب دورا أساسيا وكبيرا في تثبيت المسلمين على دينهم وعقيدتهم، لذلك إن الأسر المسلمة في الدول الغربية عادة ما تسجل أسماء أولادهم في هذه المدارس لتعلم القرآن والتعاليم الدينية، لكن نرى في روايتنا أن إقبال المهاجر البنغالي يعيش في بيئة بينية وبعد إقامة سنوات طويلة في إيطاليا لا يرى هذا الموضوع ذات أولويته لأنه اتخذ قراره ويريد أن يسجل اسم ابنه في الحضانة بروما لتعلم الإيطالية بدلا من تسجيله في مدارس القرآن أو حتى مدارس تعليم البنغالية. (لخوص، ٢٠٠٣م: ٥٦)

إن الشخصية الرواية الأخرى التي يعيش في الفضاء الثالث دينيا هو بطل الرواية ويمكن مشاهدة هذه الظاهرة في العديد من المواقف في الرواية. الموقف الأول عندما طلب عبدالله ابن بلده أن يرافقه للذهاب إلى جامع روما لأداء صلاة الجمعة ورفض

مراقفته مبرراً أن ذلك يجلب له الغربة والوحدة. (نفس المصدر: ١٣٦)

وفي مقطع آخر من الرواية نرى أن أمديو يلبي دعوة "ستيفانيا مسّارو" الإيطالية للعيش معها تحت سقف واحد وإقامة علاقة غير شرعية معها قبل الزواج خلافاً للشريعة الإسلامية والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع الجزائري ويتعدى على بعض الخطوط الحمراء في الدين الإسلامي. (نفس المصدر: ١١٩) يمكن أن يكون هذا الأمر السبب الرئيسي لاحتجاج أمديو على عقوبة الزاني في الشريعة الإسلامية حيث يقول قد منعه بطرق مختلفة للحيلولة دون إقامة علاقة بينه وبين أي فتاة خارج إطار الزواج الشرعي مردفاً: «يا حسرتي على السنوات الضائعة، قالوا لي إن الزاني يجلد مئة جلدة. حاربوني بكل الأسلحة: الله والأنبياء والأولياء والدين والعرف وحسن السلوك وكلام الناس والإيدز.» (نفس المصدر: ١٣٨-١٣٩) لكن رغم ذلك لا يقطع ولا يقطع أواصر العلاقة بدينه القديم حيث يعلن بكل صراحة إلى ابن بلده أنه لم يرتد عن الإسلام ولا يعتنق المسيحية. (نفس المصدر: ١٣٤)

ولا ينتهي الأمر إلى هذا الحد حيث نرى أن الروائي الجزائري تجاوز في هذا الحقل عن المهاجرين المسلمين والعرب ويطرح الهجنة الدينية لدى سائر معتنقي الأديان السماوية مثل المسيحية. مثال ذلك هي الخادمة البيروفية التي تعيش في بيئة بينية من وجهة نظر الدين والمعتقدات المسيحية، بينما تعتبر أنها لا تملك الوقت الكافي لحضور قداس أو الوقوف بين يدي أحد القساوسة للاعتراف والتفكير عن ذنوبها. «(نفس المصدر) لكنها في الوقت نفسه تتحدى قوانين الكنيسة وتعاليم "البابا" وقساوسة الكنائس بشأن بعض القضايا اليومية، بما في ذلك موضوع الإجهاض حيث تعتقد أن وجهات نظر بابا والكنيسة لا تتحلى بالشمولية الكافية لأنها تناقش المواضيع من جوانب محدودة بينما تتجاهل الجوانب أكثر أهمية مثل أم الجنين. (نفس المصدر: ٧١)

في موقف آخر من الرواية، يكشف لخصوص عن موضوع الهجنة الدينية لدى مواطنين إيطاليين حيث يتحاور ساندور مع أمديو ويستعرض موضوع انخفاض معدل المواليد في إيطاليا مبيّناً أن البابا قد حثّ الإيطاليين مراراً على عدم التوقف عن إنجاب الأطفال. لكن «لا أحد يستمع إلى توجيهات البابا الرامية إلى تشجيع النسل لأن

التكاليف باهظة والمخاطر مرتفعة والفوائد قليلة.» (نفس المصدر: ١١٦) هذا الموضوع يكشف إلى تضاؤل تأثير أوامر البابا باعتباره السلطة العليا للديانة المسيحية على سكان إيطاليا؛ الدولة التي تضم "الفاتيكان" مركز الكنيسة الكاثوليكية في العالم بأسره لا يسترعون أى انتباه إلى نداء زعمائهم الدينيين.

التهجين فى اللغة

لعبت اللغة دائماً دوراً مهماً فى تكوين الهوية والتعبير عنها. فى عصر ما بعد الحداثة، مع تضاؤل بعض علائم الهوية مثل العرق، أصبح هذا الدور أكثر وضوحاً من قبل. (Warschauer, 2007: 250) لذلك من الواضح أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتجاوز فحسب، بل هى أداة للتواصل أيضاً. إن شخصيات عالم لُحُوص تعجز فى التواصل مع السكان الأصليين بسبب عدم اتقانهم اللغة الإيطالية خلافاً لبطل الرواية الذى أجاد بشكل جيد تقليد الإيطاليين لدرجة أن معظم الأشخاص يعتقدون أنه يتحدث أفضل من العديد من السكان الأصليين لذلك نشاهد أن بوابة العمارة ترى بأن اللغة هى عامل من العوامل المهمة لتحقيق الانتماء القومى الإيطالى للمهاجرين مشيدة إجادة أمديو الإيطالية قاتلة أنه «يتكلم أفضل من ولده وبل أحسن من الأستاذ فى جامعة روما.» (لُحُوص، ٢٠٠٣م: ٣٧) وهذا الأمر يشير إلى أن أمديو هو إيطالى لأنه يتفق مع كل الشروط أن يكون المهاجر إيطالياً أهمها أنه يتحدث الإيطالية أفضل من الإيطاليين. إن إجادة أمديو للإيطالية قد أثارت إعجاب برفيز لدرجة أنه يعتبر أن مستوى تحدث أمديو أفضل من بعض السياسيين الإيطاليين، لكن خلافاً للبطل، أن برفيز نفسه كلما يذهب للبحث عن العمل فى المطاعم الإيطالية يسمع الجملات التى تشير إلى عدم اتقانه اللغة «مثل أنت لاتعرف الإيطالية» و«عليك ان تحسن لغتك أولاً» و«أسف مستواك اللغوى منخفض جداً.» (نفس المصدر: ١٦) ومما لاشك فيه أن اللغة عند السكان الأصليين من أهم مثبتات الهوية لأجل قبول المهاجرين الأجانب فكل من لا يجيد هذه اللغة فى بلدهم يعتبر إنساناً مرفوضاً ويصعب التعامل معه.

من جانب آخر يعتبر أمديو اتقان اللغة بالنسبة للمهاجرين بمثابة الحليب للرضيع

الذي يجب أن يشبع منه كل يوم. (نفس المصدر: ١٢٥) وهذا يدل على أن اتقان اللغة تسرع وتسهل عملية اندماج المهاجر في المجتمع الجديد وفي المقابل أن فقدان الشخص المهارات اللغوية لها عواقب وخيمة لاتحمد عقباها بالنسبة إليه في البيئات الجديدة. و خلافاً لأمديو الذي نجح في تقليد الإيطاليين، نرى أن الطالب الهولندي "فان مارتن" الذي سافر إلى إيطاليا لدراسة السينما أصبح محط سخريّة أهل روما لأنه استخدم بعض المفردات بشكل خاطئ، على سبيل المثال هو يستخدم دائماً مفردة GENTILE معتقداً أنها تعني اللطيف والمهذب والظريف في القواميس بينما هذه المفردة في المحادثات اليومية تعني عديم التربية وغير متحضّر وبربري. (نفس المصدر: ٨٨ - ٩٥) هذا هو الموضوع الذي تنطبق فيه رؤية بابا لأنه يرى أن الاستهزاء هو أحد النتائج التي تتبع من نسخ المستعمر (المهاجر) للثقافة والسلوك والعادات والقيم المستعمرة (السكان الأصليين). (أشكروفت، ٢٠١٠م: ٢٢٩) إضافة إلى هجنة اللغة لدى الشخصيات، لدينا في الرواية النص السردي المهجن حيث نرى استخدام اللغة الإيطالية و الفرنسية فيها إلى جانب اللغة الفصحى وبعض التعابير باللهجة الجزائرية التي جاءت على النحو التالي:

قد جاءت بدلا من "السيد" في الفصحى، مفردة "السنينور" الإيطالية وبدلا من "السلام عليكم"، مفردة "Ciao". كما أنه في بعض مقاطع الرواية، تستخدم أمثال إيطالية مترجمة إلى العربية مثل الجملة التي يخاطب بها أنطونيو ماريني أهل روما: peggio di un romano (أسوء من ابن روما.) (لخوص، ٢٠٠٣م: ٨٨) كما نرى تأثير اللغة الفرنسية بصفة اللغة الثانية للروائي الجزائري في بعض مقاطع الرواية مثل هذه الكلمات Ihomme lafemme est Iavenir de (وراء كل رجل عظيم امرأة) (نفس المصدر: ١٢٧). أو كلام أمديو: la verite bless (أن الحق مرّ) (نفس المصدر: ١٤٧) و La gueule du loup (أنا لست في فم الذئب) لكاتب ياسين الروائي الجزائري، نرى أن الراوي يريد التهجين الثقافي عن طريق شطب الحدود الفاصلة بين اللغات والهويات والثقافات وهذا الشطب للحدود يؤدي إلى الانتفاح باعتبار توجهه إلى المستقبل.

التهجين فى الاسم

يعتبر الاسم هو أحد المكونات التى تعطى الإنسان هويته وإن بنيته تختلف فى بلد عن آخر. إن بطل الرواية أحمد يبدل اسمه "بأمديو" ليساعده على العيش الأفضل فى البيئة الجديدة ويسمح بخلق نوع من التوازن بين الشخصيات المتعددة كما أنه يخفف من أعباء الذاكرة من الحياة الماضية ومن الشخصيات الأخرى التى تعانى من الهجنة فى الإسم هى "محسن؛ المهاجر التونسى الذى يعمل فى المطعم وقد بدّل إسمه العربى بإسم "ماسيميليانو" الإيطالى. (لخوص، ٢٠٠٣م: ١٣٠) والشخصية الأخرى هى إقبال «الذى اتخذ قراره إذا كان طفله الرابع ولذا، أن يسميه باسم إيطالى مثل "فرانشيسكو" بدلاً من الأسماء الإسلامية والشرقية وإذا كانت فتاة فسوف يسميها "روبرتاً"». (لخوص، ٢٠٠٣م: ٥٩) يقول إقبال أن هدفه من ذلك هو إزالة العقبات والمشاكل التى يحدث له نظام التسمية الإسلامية عليه فى المجتمع الإيطالى لأنه من الصعب على الغربيين التمييز بين اسمه إقبال ولقبه الذى يعتبر اسم أبيه؛ أميرالله، بالإضافة إلى ذلك أن الإيطاليين ليس لديهم شعور جيد تجاه حاملى الأسماء الإسلامية ويتجوسون منها وعمله كهذا «يسهل عليهم عملية التمييز بين الاسم واللقب ويحبّب ابنه فى المستقبل محنة تشابه الأسماء». (نفس المصدر) رغم أن أطفال إقبال الثلاثة الأوائل يحملون أسماء إسلامية وعربية. يدلّ هذا على أن إقامة حامل الأسماء العربية والإسلامية المقيم فى المجتمعات الغربية يدفعه لتغيير اسمه تفادياً من المشكلات التى تطرأ عليه تسمية الأسماء الإسلامية. خلافاً لهذه الشخصيات نرى القدور ابن بلد أمديو الذى يقاوم أمام أى تغيير لاسمه وهو يمثّل شخصية مسلم متمسك ذى أفكار رجعية وعلى الرغم من أن العديد من الإيطاليين غير قادرين على نطق اسمه لكنه يرفض استبداله باسم إيطالى؛ لأنه يرى أن تغيير الاسم يساوى تغيير الهوية وهو متمسك بهويته وباسمه وبدينه وحتى بلغته. فهو لا يخفى شيئاً من ذلك بل يعتز ويفخر كونه مسلماً عربياً (لخوص، ٢٠٠٣م: ١٢٩-١٣٠) يظن القدور أن من يغيّر اسمه يترك دينه ولغته ويعمل هذا لنيل رضا السكان الأصليين و يضرب مثال محسن التونسى الذى غير اسمه بماسيميليانو. قدور لديه أفكار سطحية يتمسك بالشىء الظاهر والمحسوس، يرى القشور وغير آبه باللب لذلك نشاهد

أنه يعتقد أن عمل من يغيّر اسمه لأجل تسهيل أموره في البيئة الجديدة يساوي «عقوق الوالدين و عصيانهما لأنهما من يختاران أسماء الأولاد كما أنه يعتبر هذا العمل مخالفا لأوامر الله تعالى ونواهيته وذنبا كبيرا يستحق عليه الإنسان العقاب الإلهي ويعدّ هذا الأمر من الكبائر كالقتل والزنى وشهادة الزور وأكل مال اليتيم.» (نفس المصدر: ١٢٩)

إن تغيير الاسم لدى القُدور أيضا يساوي إنكار الأصل كما أنه يعتقد من يعتنق ديننا جديدا يغير اسمه القديم، لذلك بعد وصوله الخبر أن أحمد قد غيّر اسمه بأמידو، يقلق ويشعر أنه قد ارتدّ عن الإسلام، لذلك قام شخصياً بالتحريّ عن هذا الموضوع فسأل أحمد عن حقيقة الأمر فعندما أجابه بجواب سلبي لاعتناقه المسيحية، تنفس الصعداء ويشكر الله. (نفس المصدر: ١٣٤) في موضع آخر من الرواية، يعتبر قُدور أن من ينكر أصله يعاني من أزمة في الهوية، لذلك تارة يشبّهه بالبعال الذي لا يمكن إطلاق اسم الحصان عليه لأن والده هو الحمار وتارة بالغراب الذي أراد تقليد مشى الحمامة (السكان الأصليين) لكن بعد محاولات فاشلة، قرر العودة إلى مشيته الأصلية. (نفس المصدر: ١٣١) رغم جميع محاولات القُدور، يدرك أخيرا أنه لا يمكنه العموم عكس التيار ولأجل التخلص من ضغوط المجتمع الإيطالي وحساسيتهم تجاه اسم عبدالله وعدم تجاوز الخطوط الحمراء التي يرسمها لنفسه، يستخدم قاعدة المصريين في تسمية الأسماء التي تبدأ بـ "عبد" لأنه من عادة الفراغنة مناداة كل من يبدأ اسمه بـ "عبد" مثل "عبدالله" و"عبدالرحمن" و"عبدالرحيم" بـ"عبدو"، لذلك يقبل مناداته بـ "عبدو" بدلا من "عبدالله".

يشير هذا الأمر إلى إن الأجواء الثقيلة المخيمة على من يحمل الأسماء العربية والإسلامية في المجتمعات الغربية خاصة بعد هجمات ١١ سبتمبر، يرغم أشخاص مثل القُدور الذين يتمسكون بالعادات والتقاليد الإسلامية والعربية أن يتراجعوا من مواضعهم المتشددة حيال تغيير الاسم وأن يقوموا بإجراء تعديلات على أسمائهم بهدف التكيف والتأقلم في المجتمع المضيف والاندماج فيه.

التهجين في الأكل

لا تنفصل ثقافات الشعوب في الأكل عن ثقافة المجتمع العامة، فكل مجتمع يحاول

تأصيل هويته بانفراده بثقافة طعامه التي تختلف عن الآخرين ويبقى الأكل هو أحد ميزات المجتمع الذي يميزه عن الآخرين. «الكاتب الفرنسي "جان بريلات" له مقولة شهيرة تختص بالطعام فهو يقول "قل لي ماذا تأكل.. أقول لك من أنت" ويفهم من ذلك أن شخصية الإنسان تظهر للآخرين من خلال الطعام الذي يتناوله وطريقة إعداده وطهيه وآداب المائدة.» (سليمان: 2017: mubasher.aljazeera.net) كما أن الأكل رمز لنمط الحياة وثقافة الناس في كل منطقة وأنه لغة مشتركة بين البشر بإمكانه نقل الثقافة والأطعمة التي يتناولها الشخص تعطي الكثير من المعلومات عنه لمن حوله وتمثل هويته وفرديته وطبقته الاجتماعية وعرقه وأحيانا دينه. لذلك من خلال اختيار نظام غذائي معين قد يفصل الإنسان نفسه عن الآخر وردم فجوة تمييزه عن الآخرين أو عن طريق الأكل أن يرقى نفسه إلى مكانة اجتماعية عالية أو أن يهبط إلى مكانة متدنية.

(Anderson, 2003: 124-125) يصور الروائي أن هجنة المهاجر ترتبط ارتباطا مباشرا بإعجابه بتناول المأكولات المحلية في البلد المستضيف. إن أمديو الذي انصهر وذاب في الثقافة الإيطالية ولم يترك أى مجال للشك فى كونه غير إيطالى، لاتعجبه المأكولات الإيطالية فحسب، بل هو مدمنها حق الإدمان إذ يقول «لاشك أن البيتزا هى أكلتى المفضلة، لأستطيع الاستغناء عنها. كل أعراض الإدمان بارزة إذا، امتزجت بدمى كما تفعل الكحول بدم المدمن. عمّا قريب أذوب فى العجين وأصير بدورى بيتزا.» (لخوص، ٢٠٠٣م: ١٠٥) فى المقابل يوجد برفيز الذى لا يرغب أكل البيتزا فحسب، بل يكرها بشدة. نرى أن البيتزا التى ترمز إلى هوية إيطاليا يستخدمه الروائى للإشارة إلى مدى هجنة المهاجرين فى المجتمع الإيطالى وإثبات أن كرهه وحب هاتين الشخصيتين لبيتزا ليسا حبا وكرها حقيقيين، فالبيتزا نسق ثقافى مضمرا اشتهاؤها أو كرها يشير إلى رغبة الاندماج والحلول فى الثقافة الإيطالية وعدمه؛ إضافة إلى ذلك أن برويز يعتبر المأكولات الإيرانية العامل الوحيد الذى يربطه بمسقط رأسه؛ شيراز، معتبرا الأكل الغربى تمهيدا للاندماج فى الثقافة الغربية والابتعاد عن الثقافة الإيرانية، لذلك يفضل الابتعاد عن المأكولات الغربية والالتزام بالأطعمة الوطنية التى تعدّ جزءاً من الثقافة الوطنية وتقاليدها. كما أنه يرفض تعلّم طريقة طبخ أكلات إيطالية خشية على هويته.

فى الحقيقة إن الخوف على الهوية والخوف من الانفتاح على الآخر قد جعلنا "برويز" لكى لايتقن الإيطالية وبالتالي فقد تواجه المتاعب والمشاكل فى حياته اليومية فى البلد المستضيف والتواصل مع السكان الأصليين.

التهجين فى العادات و التقاليد

كما أشرنا سابقا أن أمديو كان ناجحا فى تقليده للإيطاليين حيث ينظر إليه كإيطالى مثقف لكن البعض الآخر من المهاجرين عندما يسافرون إلى بلدان أوروبية، يحملون معهم عاداتهم وتقاليدهم وطريقة حياتهم. فلا يمكنهم ترك هذه الأمور كالمبلس والأكلات وحتى الأفلام التى يشاهدونها ولذلك نرى فى الرواية صدمة زوجة أمديو عندما تشاهد أن الرجال البنغاليين رغم عيشهم فى بلد أوروبى مثل إيطاليا يلبسون اللباس التقليدى البنغالى ويشاهدون الأفلام البنغالية. (نفس المصدر: ١٢٣) وهذا يوصلنا إلى القول إن هؤلاء الأشخاص رغم عيشهم فى بلد أوروبى غير أنهم لا يريدون الانفصال عن تقاليدهم وعاداتهم الوطنية ويؤدى هذا الأمر إلى تعصيب عملية الاندماج إلى البيئة الجديدة.

من جانب آخر نرى أن إقبال هو الشخصية التى كرّس جهدا كبيرا ليضفى الطابع المؤسسى للهوية ماوراء الحدود الوطنية فى مكان جديد للحياة، إلا أنه لا يزال يتمسك بالجذور الثقافية والأواصر الوطنية البنغالية ولم يستطع الولوج إلى الفضاء الثالث. إنه على الرغم من تسمية ولده باسم إيطالى وتسجيل اسم ولده الآخر فى المدارس الإيطالية بدلا من مدارس تعلم القرآن غير أنه لا ينفصل عن الأفكار البالية والقشرية عن الإسلام «حيث أنه يمنع زوجته من الخروج من البيت والتوجه لدراسة اللغة الإيطالية عند زوجة أمديو "استيفانيا" بذريعة أن الإسلام حرم الاختلاط بين المرأة و الرجل.» (نفس المصدر: ٦٠) لذلك لانحيد عن جادة الصواب إذا اعتبرنا أن إقبال لا يعيش فى الفضاء الثالث مثل أمديو بل فى الفضاء البينى. لكن خلافا لبرويز الإيرانية والقذور الجزائرى لا يكره ثقافة بلد المنشأ إيطاليا وتقاليده، بل يريد أن يندمج فى ثقافته.

ولا يختلف موضع "ماريا كريستينا غونزالز" عن المهاجرين البنغاليين. على الرغم

من أن إيطاليا تتمتع بصناعة سينما متقدمة، إلا أنها بدلا من متابعة الأفلام الإيطالية، كما تقول نفسها تشاهد المسلسلات المكسيكية والبرازيلية يوميا وتعرف أدق التفاصيل عن حياة الممثلين في أمريكا اللاتينية. (لخوص، ٢٠٠٣م: ٧٦) وفي الختام لا بد لنا أن نقول إن الثقافات في الدول المستضيفة للمهاجرين مهجنة؛ لم تظهر الثقافات في الفراغ، بل إنها ظواهر زمانية ترتبط مع بعضها البعض. لذلك فإن الصدام الثقافي ليس حدثا تاريخيا وقع في وقت معين في الماضي، بل أنه يتكوّن من سلسلة من الصدمات التي بدأت من الماضي وتستمرّ حتى يومنا هذا وسوف تواصل عواقبها على العلاقات بين الثقافات في المستقبل. إذن في المجتمع المهجّن مثل المجتمع الإيطالي، إن المزاعم الجوهرية بشأن الخلفية أو المنشأ الأصيل وغير مدمج ليست لها محلا من الإعراب وبدلا منها ينبغي إيلاء اهتمام إلى الحوار بين الثقافات.

النتيجة

يتضح لنا مما سلف ذكره أن رواية "كيف ترضع" لعمّارة لخص هي رواية شبه سيرة ذاتية أو على الأقل تقدير مستوحاة من الواقع الذي عاش فيه الروائي نفسه. يعتبر لخص أن اللغة هي أهم أدوات المهاجر لاجتياز الفضاء البيئي إلى الفضاء الثالث وهي ما يعطى المهاجر فرصة لإثبات نفسه بين السكان الأصليين.

نرى في هذه الرواية أن معظم الشخصيات في القصة ماعدا بطل الرواية أمديو تجد صعوبة في التواصل مع السكان الأصليين وهؤلاء الشخصيات ليست بمقدورها التواصل بسهولة مع الآخرين في مكان العمل أو البيئات الاجتماعية الأخرى. إن عدم مقدرة هؤلاء للتواصل مع البيئة الجديدة يرمز إلى عجزهم لقبول الهويات الجديدة أو ما وراء الحدود الوطنية.

من ناحية أخرى إن الهوية المهجّنة لدى المهاجرين في الدولة الأجنبية تتمثل في شؤون كالدين والاسم واللغة والعرق والأكل والعادات والتقاليد ومن خلال دراسة هذه الأمور، تظهر انعكاسات الثقافة الإيطالية على الثقافة الوطنية للمهاجرين على النحو التالي:

الدين: الهجنة في الدين واضح وضوح الشمس في هذه الرواية. يمكن اعتبار إقبال البنغالي مثالا على ذلك، رغم أنه يعدّ نفسه مسلماً، لكن في المجتمع الغربي خاصة في إيطاليا يفضّل أن يسجّل أبناءه في الحضانة الإيطالية بدلا من تسجيلهم في مدارس تعلّم القرآن أو مدارس التعاليم الدينية وبطل الرواية الذي يقبل إقامة علاقة مع امرأة ايطالية خارج نطاق الزواج خلافا للتعاليم الدينية، بالإضافة إلى رفض مشاركة ابن بلده عبدالله في جامع روما لأداء الصلاة مع بقية المسلمين.

الاسم: إن الهجنة في الأسماء واضح تماما في شخصية أحمد السالمى بطل الرواية الذي بدّل اسمه بأمديو لتسهيل اندماجه في البيئة الجديدة ومن الشخصيات الأخرى في هذا المجال، يمكن الإشارة إلى إقبال الذي ينوى تسمية ولده الجديد بإسم إيطالي بدلا من تسميته بأسماء إسلامية وشرقية والمهاجر التونسي الذي بدّل اسمه باسم ماسيميليانو. اللغة: إن لغة الرواية هي العربية الفصحى لكن في جميع أنحاء الرواية، إلى جانب المفردات والتعابير المحكية في اللهجة الجزائرية مثل "ابن حومة" تموج فيها مفردات الإيطالية مثل "تشاو" و"كاتسو" وغيرها من مفردات بلد المستضيف كما نشاهد الكثير من التعابير الفرنسية كلغة الاستعمار الفرنسي في بلد الروائي والتي لاتزال تنطق في الجزائر.

الأكل: إن أمديو بسبب الذوبان والاندماج في الثقافة والعادات والتقاليد في البلد المقصد، أدمن الأطعمة والمشروبات الإيطالية خاصة كابوتشينو والبيتزا وفي المقابل تقع شخصية برفيز الذي يكره أكلات إيطالية. نرى أن البيتزا هو رمز للثقافة الإيطالية وكراهية برفيز هي كراهية للثقافة والعادات الإيطالية كما يعد الأكل الغربي تمهيدا للاندماج في الثقافة الغربية والابتعاد عن الثقافة المحلية على زعم برفيز، لذلك يفضل الابتعاد عن المأكولات الغربية والالتزام بالأطعمة الوطنية التي تعدّ جزءاً من ثقافته الوطنية وتقاليدها.

والكلمة الأخيرة أن لخصوص يعتقد أن عالم اليوم يتطلّب التعامل الثقافى والثقافات المهجّنة نظرا لهجرة ما وراء الحدود الوطنية و توسيع الاتصالات وشبكة الإنترنت العالمية وبالتالي يدعو إلى اقتراب الشعوب والدول من بعضهما البعض.

المصادر والمراجع

- أشكروفت، بيل وغاريت غريفيث وهيلين تيفن. (٢٠١٠م). دراسات ما بعد الكولونيالية؛ المفاهيم الرئيسية. ترجمة: أحمد الروبي وأمين أحلي وعاطف عثمان، ط ١. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- افشاري، بهبهاني زاده وفريندخت زاهدي. (١٣٩٢ش). «ادبيات نمائيشي مهاجرت ايرانيان ساكن در استراليا؛ تحليل پسااستعماري نمائيشنامه در آينه اثر محمد عيداني». فصلية جامعه شناسي هنر و ادبيات، السنة الثانية. العدد الخامسة. صص ١٤٧-١٦٤.
- ثابت، طارق، (٢٠١٤م). «هوية الأدب بين الحضور والغياب في الخطاب النقدي العربي ما بعد الكولونيالي». مجلة الأثر. سنة ١٣. العدد ٢١. صص ١٠٣-١١٢.
- حق شناس، علي محمد ونرگس انتخايي وحسين سامعي. (١٣٨١ش). فرهنگ معاصر هزاره؛ انجيزي - فارسي. المجلد ٢. ط ٣. طهران: دار نشر قاموس الحديث.
- خمري، حسين. (١٣٩٤ش). «هجرة النص وثبات الهوية». فصلية نقد ادب عربي. السنة الخامسة. العدد العاشرة. صص ٢٩٣-٣١١.
- ذاكري، آرمان. (١٣٩٢ش). «چشم انداز انديشه، در ضرورت طرح و سنجش مطالعات پسا استعماري». فصلية "چشم انداز ايران، العدد ٧٧، صص ٦٤-٥٩.
- سپهوند، حاجي علي. (١٣٩٤ش). «پسا - استعمار يا پسا - مدرن؟». ط ١. طهران: منشورات نارنجستان كتاب.
- سنو، غسان منير حمزه وعلي أحمد الطّراح. (٢٠٠٢م). «الهوية الوطنية والمجتمع العلمي والإعلام». ط ١. بيروت: دار النهضة العربية.
- شاهميري، آزاده. (١٣٨٩ش). «نظريه و نقد پسااستعماري». ط ١. طهران: منشورات علمية.
- شيرزاديان، رضا. (١٣٨٨ش). «مطالعات پسااستعماري؛ نقد و ارزيابي ديدهاهاي فرانتس فانون، ادوارد سعيد و هومي بابا» فصلية الدراسات السياسية، العدد الخامسة. ١٤٩-١٧٤.
- عصفور، جابر. (٢٠١٢م). «عن المهجر والمنفى من منظور مختلف، ضمن "الثقافة العربية في المهجر". مجلد ١. الكويت: الثقافة العربية في المهجر، العدد ٩٠. ص ١٧.
- فرهمندفر، مسعود. (١٣٩٣ش). «جا يگاه آستانه اي فرهنگ: هومي بابا و نظريه پسااستعماري». فصلية الدراسات النقدية. السنة الأولى. العدد الرابعة. صص ١٧-٣٤.
- فرهمندفر، مسعود وامير علي نجوميان. (١٣٩٢ش). «پيوند خوردگي هويت در نظريه پسااستعماري، مطالعه موردی فيلم پيانيسست اثر رومن پلانسكي». هنرهای نمائيشی و تجسمی. السنة الثانية. العدد السادسة. صص ٦٣-٧٣.
- قمری، محمدرضا و محمد حسن زاده. (١٣٨٩ش). «نقش زبان در هويت ملی». مجلة زبان پژوهشي لجامعة الزهراء (دورية علمية محكمة). السنة الثانية. العدد الثالثة. ص ٣.

كارتر، ديفيد. (٢٠١٠م). «النظرية الأدبية» ترجمة: باسل مسالمة، ط ١. سوريا: دار التكوين.
لخوص، عمارة. (٢٠٠٣م). «كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك». ط ٢. الجزائر: منشورات
الاختلاف.

_____ . (٢٠١٠م). «القاهرة الصغيرة». ط ٦. بيروت: منشورات الاختلاف.
لك، منوچهر. (١٣٨٤ش). «هويت ملي در شعر دفاع مقدس»، فصلية دراسات وطنية إيرانية. السنة
السادسة. العدد الثاني. صص ١١١-١٣٢.

المسكينى، فتحي. (٢٠٠١م). الهوية والزمان ط ١، بيروت: دار الطليعة.
موسوى، سيد صدرالدين ومسعود درودى. (١٣٩١ش). «نگرشى انتقادى بر مطالعات پسااستعمارى
و رويكردهاى آن»، فصلية دراسات بينية فى العلوم الإنسانية. العدد الأول. صص ٧٣-٣٩.
نجوميان، اميرعلى. (١٣٩٣ش). «سبک زندگى در ترجمه؛ بررسى نشانه - پديدارشناختى سبک
زندگى مهاجر». يازدهمين هم انديشى حلقه نشانه شناسى سبک زندگى. السنة الأولى. صص ٩-٢٢.

References

Anderson, E.N.(2005). Everyone Eats: Understanding Food and Culture, New York and London: New York University Press.

Bhabha, H, K. (1994). The Location of Culture, London, Routledge Classics.

Soukhanov.A.H.(2005): The American Herigage dictionary of the English Language,third edition, New York and Boston: Houghton Mifflin Company.

Gwinn,R.P.(1991): The New Encyclopedia Britannica, Volume 4, 15th Edition, London.

Warschauer, M. (2007). Language, Identity, and the Internet. Irvin: University of California.

المصادر الإلكترونية

قناة الجزيرة المباشرة، ٢٠١٧م، صلاح سليمان: <http://mubasher.aljazeera.net/opinion>

الموقع الإلكتروني الخاص للخوص، ٢٠١٢م، السيرة الذاتية للخوص
<http://www.amaralakhous.com/biography-arabi>

فرانس ٢٤، ٢٠١٣م، مقابلة شخصية مع عمارة لخوص:
<https://www.france24.com/ar/20130513>

قناة الجزيرة، ٢٠١٥م، مقابلة شخصية مع عمارة لخوص:
<https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2015/1/29/>